معاذ بن معاذ

أعــلام القضــاء

obeikandl.com

obeikandl.com

معاذ بن معاذ ـ رحمه الله ـ

معاذ بْن معاذ بْن نصر بْن حسان بْن الحر بْن مالك بْن الحسحاس ابْن جناب ابن الحارث بْن مجفر بْن كعب بْن العنبر بْن عُمَر بْن تميم بْن مر بْن أد بْن طابخة بن إلياس بْن نضر.

أخذ العلم عن: سليمان التيمي، وأشعث بن عبد الملك، وعوف الأعرابي، ومحمد بن عمرو، وأبي كعب صاحب الحرير وكهمس، وقرة بن خالد، والنهاس بن قهم، وابن عون، وحميد الطويل، وحاتم ابن أبي صغيرة، وعمران بن حدير، وشعبة، وعاصم بن محمد العمري، والثوري، وخلق.

ومن تلامذته: أحمد، وإسحاق، ويحيى، وعلي، وبندار، ومحمد بن مثنى، وإسحاق بن موسى الخطمي، وأبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن حاتم السمين، وعبد الوهاب بن الحكم الوراق، وأبو خيثمة، وعمرو الفلاس، ومحمد بن يحيى بن سعيد القطان، وأحمد بن سنان القطان، وعبد الله بن هاشم الطوسي، وابناه المثنى وعبيد الله، وسعدان بن نصر، وخلق كثير منهم عبد الرحمن بن أبي الزناد، وهو أكبر منه.

وقد أثنى عليه كثير من أئمة الحديث والفقه والقضاء أمثال الإمام أحمد بن حنبل الذي قال عنه: معاذ بن معاذ إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، وقال: هو قرة عين في الحديث.

وروى عنه ولده عبد الله بن أحمد أنه قال: ما رأيت أفضل من حسين الجعفي، وسعيد بن عامر، ولا رأيت أعقل من معاذ بن معاذ كأنه صخرة.

وقال الكوسج عن يحيى بن معين، وأبو حاتم الرازي: ثقة.

وقال عثمان الدارمي: قلت لابن معين: أيهما أحب إليك أزهر السمان في ابن عون، أو معاذ بن معاذ؟ قال: ثقتان. قلت: فمعاذ أثبت في شعبة أو غندر؟ قال: ثقة وثقة.

وقال النسائي: معاذ ثقة ثبت.

وقال يحيى بن سعيد: ما بالكوفة ولا البصرة ولا الحجاز أثبت من معاذ بن معاذ، وما أبالي إذا تابعني من خالفني، وقد كان شعبة يحلف: لا يحدث، فيستثني معاذا وخالدا.

وورد أن يحيى بن سعيد قال في سجوده مرة: اللهم اغفر لخالد بن الحارث، ومعاذ بن معاذ، ثم قال: حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة، قال أبو الدرداء: إني لأستغفر لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسماء آبائهم.

وقال محمد بن عيسى بن الطباع: ما علمت أحدا قدم بغداد إلا وقد تعلق عليه في شيء من الحديث إلا معاذا العنبري، ما قدروا أن يتعلقوا عليه بحديث مع شغله بالقضاء.

وقال ابن سعد: كان ثقة.

وولد معاذ بن معاذ في سنة تسع عشرة ومائة في آخرها، ومات سنة ست وتسعين ومائة.

وقد أكره علي تولي القضاء رغما عنه فقبله علي مضض فيروي أنه لما أعفى الخليفة هارون الرشيد القاضي عُمَر بْن عُثْمَان التيمي عَن القضاء، كتب إِلَى مُحَمَّد بْن سليمان بْن علي باختيار رجل للقضاء، فسمى له عَبْد الوهاب بْن عَبْد الحميد، ومعاذ بْن معاذ،

ومُحَمَّد بْن عَبْد اللهِ الأنصاري، فقال: ومن معاذ بْن معاذ؟ فقيل: ابن عم سوار، وعبيد الله، فقال: هَذَا فأرسل إليه، فقال: إني أريد توليتك القضاة، فقال: لا أحسنه، قال: لا بد لك من ولايته، قال: إني والله ما أحسنه، وما يحل لك أن توليني صادقاً كنت، أو كاذباً، قال: أسألك بقرابتك من رسول الله إما أعفيتني، قال: قد سأل سوار أبا أيوب بْن سليمان ابن علي بمثل ما سألتني، فأعفاه ثم ظهر منه على مثل ما ظهر عليه فولاه، فولى.

وقد ولي قضاء البصرة لهارون الرشيد مرتين وكان صليباً في ولايته الأولى لا يخشي في الله لومة لائم، ودخل في صراع مع حماد بْن موسى الذي كان يعمل كاتباً لوالي البصرة محمد بن سليمان فعزله، وولى عَبْد الرحمن بْن مُحَمَّد المخزومي، وكانت مدة ولاية معاذ الأولي سنة.

وكان ولي معاذ بن معاذ قضاء البصرة سنة اثنتين وسبعين وكان له محل ومنزلة فلم يحمد أهل البصرة امره وكثر الكارهون له والرفائع عليه فلما صرف عن القضاء أظهر أهل البصرة السرور به ونحروا الجزور وتصدقوا بلحمها واستتر في بيته خوف الوثوب. ثم إنه ذهب إلي الرشيد واسترضاه واعتذر منه، وقبل الرشيد عذره وأعطاه ألف دينار.

وولى معاذ ولايته الثانية في رجب سنة إحدى وثمانين ومائة.

و قال أبان بْن عَبْد الحميد اللاحقي لما ولى معاذ بْن معاذ:

يا معاذ بْن معاذ الخير يا خيرحكيم ::: اتق الله فقد أصبحت في أمر عظيم
لا تولى الدهر من أنت به جدعليم ::: قد قهيا اللاحقيون وإبنا تميم
شمروا القمص وحلوا موضع السجد بثوم ::: لزموا مسجدنا مع ضيعته أي لزوم

صام من أجلك من لم يك منهم ليصوم ::: وهو ذئب يرقب الغرّة في الليل البهيم

كلهم يأمل أن يودعه مال يتيم

و قَالَ: آخر لما عزل بْن حبيب وولى معاذ:

يا من لدهر أتى بحاجتنا ::: أعقبنا ريبه ومنقلبه

أعقبنا من قضاتنا رجلاً ::: كالثور مسترسل له غببه

كنا نشق الجيوب من عُمَر ::: حتى ابتلينا بمن خلا عجبه

يا شوم قوم أتوا خليفتنا ::: هم أشاروا به وهم سببه

ما وفقوا للسداد فِيْهِ ولا ::: أفلح من ساقه ومن جلبه

أحول مثل البعير جئته ::: لا عقله يرتجى ولا أدبه

وطالت ولاية معاذ الثانية، وتخونته السن، وساء بصره، وغلب عليه جلساؤه في الحكم فكان يسند إليهم الكثير من الفصل في القضايا لضعفه عن النظر فيها، وهذا ما أخذه عليه المتخاصمون.

فقد قال عَبْدُ الرحمن بْن عَبْد الوهاب النميري: وقفت امرأة، من الأعراب، على معاذ بْن معاذ وقد حبس ابنا لها، فقالت: قد اكتنفك هَذَان الذئبان، يكتبان ويمليان، وأنت جالس تتثاءب كأنك حمار، أو كأنك آكل حيسة، قد ختم سمنها على فؤادك، فأنت أهيم لا تفقه، والله ولا تنقه، خبرني عَن ابني فيم حبسته؟ فوالله ما كان يشرب الزينبية، ولا يأتي الأبلة، ولا يلعب بالنرد بين أنثييه بعبيد الله بن الْحَسَن الأقيحب البشتبان.

و قَالَ: بشر بْن شبيب، يذكر اكتناف الذراع:

سليمان يقضي ثم يمضي قضاؤه ::: وليس لقاضينا قضاء سوى الخثم

إذا جاءه الخصمان حرك رأسه ::: وروح إبطيه وبحث في الحكم

يحد الذي يزني بقطع يمينه ::: ويقضي على اللص المثبت بالرجم

و قَالَ: آخر:

عـــاق الســـجل دنـــانير مهيـــاة ::: صبت من الجعل للـــذراع ســـتونا
ظللت يابن على حـــين تبصـــرها ::: من حبها ساجداً حـــيران مفتونـــا
قنعـــت أخـــرة القاضـــي مخائلـــه ::: بالهرقليـــات ممـــا حـــاز اليونـــا
فالحاكم الغمر بـــالقرنين مشـــتغل ::: والجالبون مـــن الـــذراع مليونـــا

و قَالَ: آخر:

أكثـــروا في ابـــن المـــث ::: نى عليـــــاً أو أقللـــــوا
لـــيس يـــا قـــوم يعقـــل ::: أي رجليـــــه أطـــــول
لا ولا بـــــين تمـــــرتي ::: ن لـــدى الحكـــم يفصـــل
ابتلـــى وابتلـــى بـــه الـــن ::: اس والأمـــــر معضـــــل
مـــن يكـــن للقضـــا وللـــح ::: كـــم ممـــن يعجـــل
فمعـــاذ والحمـــد للـــه ::: ممـــــن يطـــــول
قـــل لقســـامنا هـــن ::: يـــاً هنيـــاً لكـــم كلـــوا
لكـــم الشـــأن كلـــه ::: فـــانظروا أن تـــأثلوا
أســـرعوا فِيْـــهِ أســـرعوا ::: بـــادروا قبـــل يعـــزل
قـــد نـــرى مـــن يلـــي مـــس ::: ائلـــه قـــد تمولـــوا

و قَالَ: آخر:

إذا رأوا هامـــة الشـــي ::: خ أســـود كلـــهم ضـــاري
ســـليمان شـــبيه القـــر ::: د منـــهم وابـــن ســـيار
وذاك البيـــدق الجـــرم ::: ي عفـــر مـــن الأعفـــار
فـــذا يقضـــي وذا يقضـــي ::: وقاضـــينا بـــذي قـــار

وكثرت شكاية الناس لمعاذ، وسعت عليه المعتزلة، وكان قد رد شهادتهم، ورفع عليه عند أمير المؤمنين، فكتب يأمر بإشخاصه، وإشخاص نفر معه،

منهم مُحَمَّد بْن حرب الهلالي، ومُحَمَّد بْن عَبْد اللهِ الأنصاري، وعُمَر بْن حبيب، وعَبْد اللهِ بْن سوار، فشخصوا فظن الناس أنهم أشخصوا ليختار منهم رجلاً للقضاء، فوافوا أمير المؤمنين بالنهروان، وهو يريد خراسان، فرد معاذاً قاضياً وأجازه، وكان الفضل بْن الربيع يقوم بأمره ويحوطه،

فَقَالَ: بعض الشعراء:

قد قلت في الخمس الأولى ظعنوا ::: أمسى ليختار منهمو رجل
قولاً سيرويه عدة عرفوا ::: تصديق قولي وعدة جهلوا
أما الهلالي فالثغور به ::: أولى إذَا ما تحصل العمل
مجرب سيد له شرف ::: لكل ما حملوه محتمل
ولست أخشى عليه إن فحصوا ::: جهلاً بحكم إذَا هم سئلوا
وابن حبيب وليس في عُمَر ::: عيب ولا فِيْهِ إن ولى فشل
لكنه متعرف مجانبه اللـ ::: ـن إذَا ما تقدم الجدل
فإن يعد عاد قاضياً مرناً ::: له رجال جماعة نبل
وهو أهل لها لسابقة ::: كانت له في القضاء إن فعلوا
فإن ينلها مُحَمَّد فه ::: م أنصار دين الاله لم يزلوا
وهو على كل ما يريد من الـ ::: ـع بفصل الأحكام مشتمل
ولا عيي بفصل عرفهم ::: والجهل في الحكم ليس يحتمل
لكنا قد نخاف حدته ::: والحد فِيْهِ الفساد والخبل
وحبه قومه يخوفنا ::: فكلنا مشفق له وجل
والعنبري الذي بوالده ::: سوار في الناس يضرب المثل
إن لم يعب عائب حداثته ::: صار إليه القضاء والجدل
وحق فِيْهِ لقومه أمل ::: وربما أخطأ الفتى الأمل
فإن ينلها ينال ذو فهم ::: من معسر طالما بلوا وولوا
أما معاذ فليس من أحد ::: إلا به القلب منه مشتغل

أمـــا محـــب يحـــب رجعتـــه ::: أو مـــبغض شـــامت ومبتـــهل
فإن تعـــد والقضـــاء مضـــطرب ::: حـــتى يـــوافي بموتـــه الأجـــل
فهذه حالهم في الصـــفات حـــالهم ::: فانظر إِلَى من تصـــيران رحلـــوا
وســـوف يأتيـــك بعـــد عاشـــره ::: أنبـــاء أخبـــارهم إِذَا وصـــلوا
وخلفوا سادســاً قــد أكرمـــ ::: ه الله ولو كـــان فيهمـــو بطلـــوا
أعنى ابن بكر عَبْـــد الالـــه أخـــا ::: ســـهم فـــثم القصـــاب والنبـــل

وقد شخص أمير المؤمنين إِلَى النهروان ليلقى علي بْن عيسى، وقد أقبل من خراسان، فصار معاذ إِلَى الفضل بْن الربيع، فذكره صنيعة عنده وسأله استتمامها، فأرسل الفضل إِلَى القوم، فقال: أحب ألا تذكروا معاذاً بسوء، فجلسوا ينتظرون الإذن، فخرج عليه معاذ، قد أذن له قبلهم، فقال: خرجت من عند أبر الناس، وأعطفهم، أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، وقد ردني على عملي، وأمر لي بعشرين ألفاً، وعشرين ثوباً، فَقَالَ لَهُ الأنصاري: إن كان قد ردك فاتق الله، فإن أصحابك قد غابوا، وأذن للقوم، فدخلوا فأقبل أمير المؤمنين على الأنصاري، فقال: من أنت؟ قَالَ: مُحَمَّد بْن عَبْد اللهِ الأنصاري، قال: أنت فقيه البصرة، قال: قد قَالَ: ذا بعضهم، فأقبل على مُحَمَّد بْن حرب، فقال: فأنت؟ قَالَ: أنا مُحَمَّد بْن حرب الهلالي، وبنو هلال أخوالك يا أمير المؤمنين، وقد كان آباؤه وسلفه يرعون ذلك، ويحفظونه، قال: صدقت، ثم أقبل على عُمَر بْن حبيب، فقال: أما أنت فأعرفك فما خلفك عَن باب أمير المؤمنين، قَالَ: الضيعة يا أمير المؤمنين والعيال، قال: فالزم باب أمير المؤمنين، ثم أقبل على بن سوار، فقال: فأنت من أنت؟ فقال: عَبْد اللهِ بْن سوار، قال: يرحم الله سواراً، ثم قال: إني وليت معاذاً على الاختيار له، ثم بلغني عنه أمور أحببت لها أن أسأل عنه، فأخبروني عنه فأومأ إِلَى الأنصاري، فقال:

خير له وللمسلمين ألا يلي عليهم، وقَالَ: ابن حرب: قد كان على ما ذكر أمير المؤمنين، ثم ظهرت له بطانة أفسدته، وقَالَ: عُمَر بْن حبيب: يا أمير المؤمنين القاضي بين حامد له وذام، فأقبل على ابن سوار، فقال: ما تقول أنت في ابن عمك؟ فقال: على ما ذكر أمير المؤمنين حتى ظهرت له أشياء من أصحابه، وفساد في بصره مع سنه، فقال: إن فساد البصيرة قد يكون في الرجل الشاب، فقال: أجل يا أمير المؤمنين فنحتمل ذلك في غير القضاء، فأما في القضاء فلا، فقال: صدقت، ثم أقبل على الفضل، فَقَالَ: ادفع إِلَى كل رجل منهم خمسة ألف درهم، ونهضوا، فَقَالَ: الأنصاري يا أمير المؤمنين إني خلفت ضيعة وعيالاً يحتاجون إِلَى قربى منهم فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي، فقال: قد أذنت لك، فَقَالَ الفضل: ولجماعتهم يا أمير المؤمنين، قال: ولجماعتهم، فَقَالَ لَهُم الفضل: انحدروا حتى يلحق بكم جوائزكم، فانحدروا وخلف معاذ مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن جبلة، على جائزته حتى قبضها، ودخل القوم على الفضل بْن الربيع لوداعه، ومعاذ عنده، فأقبل الفضل على معاذ، فقال: قد والله ذمك القوم جميعاً، وودع الفضل الجماعة، وانحدروا ومعاذ معهم، حتى صاروا إِلَى البصرة

فَقَالَ: أبان بْن عَبْد الحميد يرد على الشعراء الذين هجوا معاذاً:

يا أيها الشعراء لا تتعرضوا ::: لليث دون عرينه المتشمر
من رام عرض أبي المثنى فاعلموا ::: أني له مثل الشجا في الحنجر
من قَالَ: خيراً فليقله مصدقاً ::: والشيخ بالشتم الكذوب المفتري
عندي لكم إن شئت عدة شاعر ::: فطن بأَبُوا النجاة مظفر
كذبت ظنون المرجفين وصرحت ::: عَن فاضح مثل الصباح المشهر
خابوا وفاز أَبُو المثنى دونهم ::: بالجاه عند وجوه أهل العسكر

وأتاه من عند الإمـــام المصـــطفى ::: بالبكت للأعـــداء كـــل مبشـــر
يدعى بباب الفضـــل أول داخـــل ::: ويخلف البـــاقون أخبـــث مـــؤخر
وحباه هـــارون الإمـــام بكســـوة ::: وحباه منه بـــألف جعـــد أصـــفر
ورآه أولى حـــين قـــيّس أمـــره ::: بـــالحكم ممـــن ذمـــه في المنحـــر
فقفى برغم يـــا قبائـــل واعلمـــي ::: أن الحكومـــة بيتـــها في العنـــبري

وتوفي بالبصرة في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائة وهو بن سبع وسبعين سنة وصلى عليه محمد بن عباد بن عباد المهلبي [1].

مواقف من حياته – رحمه الله –:

هَذَا يوم مطير لا يجيء فِيْهِ الناس

وقَالَ معاذ بْن معاذ لابنه، في يوم مطير، إي بني امضي بنا نجلس للناس، فَقَالَ لَهُ ابنه: يا أبت هَذَا يوم مطير لا يجيء فِيْهِ الناس، فقال: يا بني امض بنا فبم نستحل أن نأخذ كل يوم كذا وكذا درهماً، وخرج فجلس [2].

فاغرورقت عيناه وخرج

وزعم بندار بْن يسار، قَالَ: لما ولي معاذ أتاه المعتمر بْن سليمان، فقال: يا أبا المثنى أوليت القضاء؟ فلم يكلمه حتى أدخله بيته، فنظر إِلَى فراشه في الشتاء فوجده حصيراً، وإِلَى دثاره فوجده

(١) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ١ / ٢٣٧، تاريخ ابن معين: ٥٧٢، طبقات ابن سعد ٧ / ٢٩٣، طبقات خليفة ت ١٩١٧، تاريخ خليفة: ٤٦٦، التاريخ الكبير ٧ / ٣٦٥، التاريخ الصغير ٢ / ٢٧٨، المعارف: ٥١٢، الجرح والتعديل ٨ / ٢٤٨، مشاهير علماء الأمصار: ت ١٢٧٠، تاريخ بغداد ١٣ / ١٣١، تهذيب الكمال: ١٣٣٩، تذهيب التهذيب ٤ / ٤٨ / ١، العبر ١ / ٣٢٠، الكاشف ٣ / ١٥٤، دول الإسلام ١ / ١٢٤، تهذيب التهذيب ١٠ / ١٩٤، طبقات الحفاظ: ١٣٦، خلاصة تذهيب الكمال ٣٨٠، شذرات الذهب ١ / ٣٤٥.
(٢) أخبار القضاة، ٢ /١٣٨.

كساء، وسمل قطيفة، فاغرورقت عيناه وخرج [١].

نحن أشقى من ذاك

قَالَ يزيد بْن مُحَمَّد بْن المهلب: كان معاذ يؤتى كل يوم ظهراً بثريد، ولحم، وله ابن أهوج، يأكل معه، فكان إِذَا فرغ من الطعام أخذ وسط رغيف، فجمع عليه ما وجد من لحم وبصل، وغير ذلك ثم يلفه ويعتزل ناحية، ويقول: هَذَا زادي؛ فيقول معاذ: نحن أشقى من ذاك[٢].

استرها فإنها هفوة

- شهد رجل من الزيدية عند معاذ بْن معاذ بشهادة، فأدناه منه؛ فقال: أليس خرجت مع إبراهيم؛ قال: وأنت قد خرجت معه؛ قال: أنا خرجت على غير دابة، وأنت خرج على دابة، فَقَالَ لَهُ الرجل: فأنت أسوأ حالاً مني، بل سفكت دماء المسلمين على غير دابة؛ فَقَالَ لَهُ معاذ: استرها فإنها هفوة، وأجاز شهادته [٣].

* * *

(١) أخبار القضاة، ٢ /١٣٨.
(٢) أخبار القضاة، ٢ /١٣٩.
(٣) أخبار القضاة، ٢ /١٤٠.